. @ 163 @

تنبيه .

اعلم أن ما قاله ابن جرير وغير واحد من أن القول بأن إن نافية يلزمه إيهام المحذور الذي لا يجوز في حق ا . .

قالوا : لأنه إن كان المعنى ما كان ولد فإنه لا يدل على نفي الولد ، إلا في الماضي ، فللكفار أن يقولوا إذا صدقت لم يكن له في الماضي ولد . ولكن الولد طرأ عليه ، بعد ذلك لما صاهر الجن ، وولدت له بناته التي هي الملائكة . .

وإن هذا المحذور يمنع من الحمل على النفي لا شك في عدم صحته لدلالة الآيات القرآنية بكثرة على أن هذا الإيهام لا أثر له ولو كان له أثر لما كان ا يمدح نفسه بالثناء عليه بلفظة كان الدالة على خصوص الزمن الماضي في نحو قوله تعالى { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً } ، { وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً } ، { وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } ، { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً } ، { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً } إلى غير ذلك من الآيات التي يصعب حصرها . .

فإن معنى كل تلك الآيات أنه كان ولم يزل . .

فلو كان الكفار يقولون ذلك الذي زعموه الذي هو قولهم : صدقت ما كان له ولد في الماضي ولكنه طرأ له لقالوا مثله في الآيات التي ذكرنا . .

كأن يقولوا { كَانَ عَلِيماً حَكِيماً } في الماضي ولكنه طرأ عليه عدم ذلك وهكذا في جميع الآيات المذكورة ونحوها . .

وأيضاً فإن المحذور الذي زعموه لم يمنع من إطلاق نفي الكون الماضي في قوله تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً } ، وقوله { وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً } وقوله { وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة . .

ومن أوضحها في محل النزاع قوله تعالى { وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ } . .

ولم يمنع من نفي القرآن للولد في الزمن الماضي في قوله تعالى { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن